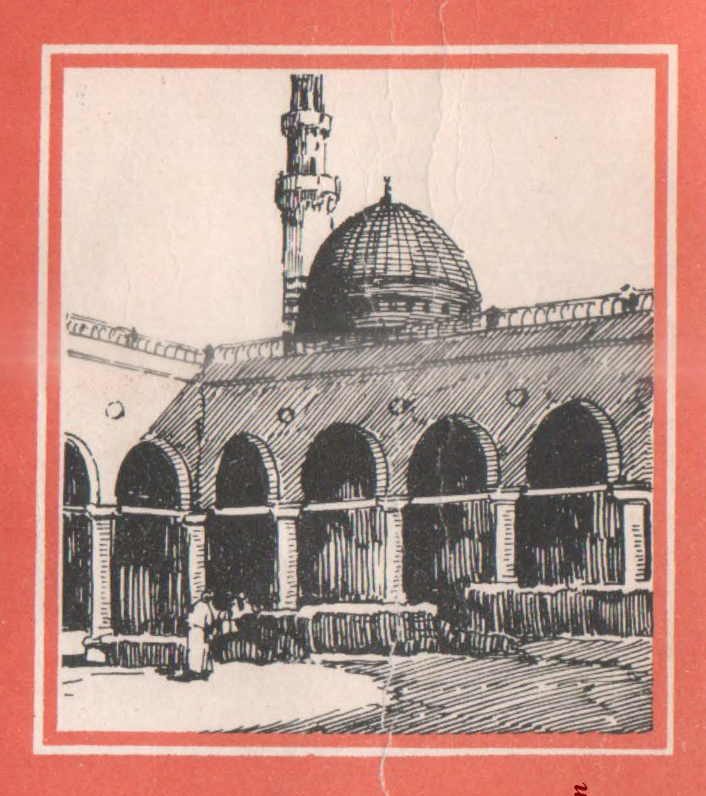
مجموعة أمهات المؤمنين

بإشراف محمد أحمد برانق



٨

عائشة العالمة

دار المعارف بمصر

مجموعة أمهات المؤمنين

بإشراف
محمد أحمد برانق
المفتش العام بوزارة التربية والتعليم بمصر (سابقا)

٨

عائشة العالمة

الطبعة الثانية



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . ع . م .

١

« اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً » .

تَلاَ النَّبِيُّ آيَةَ اللهِ هٰذِهِ عَلَى آلاَفِ الْحُجَّاجِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ يَحُجُّونَ بَيْتَ اللهِ فِى السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهِجْرَةِ ، وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهُوَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ يَتْلُو هٰذِهِ الآيَةَ ؛ فَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ مُهِمَّةَ الرَّسُولِ الَّذِى بَعَثَهُ اللهُ بِهَا قَدِ انْتَهَتْ ، وَعَرَفَ أَنَّ يَوْمَ وَفَاتِهِ قَدْ بَاتَ جِدَّ قَرِيبٍ .

وَسَمِعَتْ عَائِشَةُ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ، وَسَمِعَ مَعَهَا سَائِرُ نِسَائِهِ مَا تَلاَهُ النَّبِيُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلٰكِنَّهُنَّ لَمْ يُدْرِكْنَ مَا أَدْرَكَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَدْ كَانَ زَوْجُهُنَّ الرَّسُولُ كَعَهْدِهِنَّ بِهِ — مَوْفُورَ الْقُوَّةِ ، جَمَّ النَّشَاطِ ، مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ ؛ لاَ يَنِى عَنْ مُفَاكَهَتِهِنَّ ، وَمُبَاسَطَتِهِنَّ ، وَالإِشْرَافِ عَلَى رَاحَتِهِنَّ طُولَ فَتْرَةِ رِحْلَتِهِنَّ مَعَهُ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ لِحَجِّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ .

فَلَقَدْ شَهِدَتْ عَائِشَةُ مِنْ دُعَابَاتِ النَّبِيِّ لَهَا ، وَتَبَسُّطِهِ مَعَهَا ، حِينَمَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا يَتَأَمَّلُ وَجْهَهَا الْجَمِيلَ ، وَقَدْ أَسَالَتْ حَرَارَةُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ صُفْرَةَ الطِّيبِ الَّذِى كَانَتْ تُضَمِّخُ بِهِ رَأْسَهَا ، فَيَقُولُ لَهَا مُعْجَباً مُدَاعِباً : إِنَّ لَوْنَكِ الْآنَ يَا شُقَيْرَاءُ لَحَسَنٌ !

وَشَهِدَتْ مِنْ عَطْفِهِ لَهَا وَحَدَبِهِ عَلَيْهَا ، حِينَمَا مَنَعَ عَنْهَا زَجْرَ أَبِيهَا لَهَا ، وَقَدْ شَاهَدَهَا تُحَاجُّ زَوْجَهَا إِذْ يَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَتَبَادَلَ هِيَ وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ بَعِيرَيْهِمَا ، وَذَلِكَ لِخِفَّةِ جَمَلِ عَائِشَةَ مَعَ سُرْعَةِ خُطَى جَمَلِهَا ، وَثِقَلِ جَمَلِ صَفِيَّةَ وَبُطْءِ خُطَى بَعِيرِهَا .

وَشَهِدَتْ عَائِشَةُ مِنْ زَوْجِهَا غَيْرَ هٰذَا وَذَاكَ الْكَثِيرَ مِمَّا كَانَ يُمَوِّدُهَا مِنْ عَطْفِهِ ، وَيَبْسُطُهُ لَهَا مِنْ حَنَانِهِ .

وَشَهِدَتْ عَائِشَةُ وَشَهِدَتْ زَوْجَاتُ الرَّسُولِ مَعَهَا الْكَثِيرَ مِنْ مَوَاقِفِهِ الْقَوِيَّةِ الْحَازِمَةِ الْعَادِلَةِ الْحَكِيمَةِ الَّتِى عَوَّدَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُشْرِفَ بِهَا عَلَى أُمُورِهِمْ ، وَيَرْعَى بِهَا شُئُونَهُمْ وَمَصَالِحَهُمْ .

فَلَا عَجَبَ إِذَنْ أَلَّا تُدْرِكَ عَائِشَةُ ، وَأَلَّا تُدْرِكَ مَعَهَا نِسَاءُ النَّبِيِّ ، أَنَّ زَوْجَهُنَّ الْحَبِيبَ قَدْ أَصْبَحَ فِرَاقُهُ لَهُنَّ وَشِيكَ

الْوُقُوعِ ، وَأَنَّ حَجَّهُ هٰذَا مَعَ سَائِرِ نِسَائِهِ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً مَا هُوَ إِلَّا حَجُّ الْوَدَاعِ لِبَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ .

وَفِي يَوْمٍ صَائِفٍ بَعْدَ نَحْوِ شَهرٍ مِنْ عَوْدَةِ النَّبِيِّ وَنِسَائِهِ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى الْمَدِينَةِ — قَامَ النَّبِيُّ بَعْدَ صَلَاتِهِ لِلْعَصْرِ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ : يَتَفَقَّدُ شُئُونَهُنَّ ، شَأْنُهُ مَعَهُنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَذٰلِكَ بِرَغْمِ مَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ مِنْ أَلَمٍ يُصَدِّعُهُ ، وَفُتُورٍ يُثْقِلُ جِسْمَهُ .

وَدَخَلَ مُحَمَّدٌ عَلَى عَائِشَةَ فَإِذَا بِهَا تَشْكُو أَلَماً بِرَأْسِهَا . وَإِذْ رَأَتْهُ مُقْبِلًا عَلَيْهَا قَالَتْ لَهُ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا بِهَا :

وَا رَأْسَاهُ !

وَنَظَرَ النَّبِيُّ إِلَى زَوْجِهِ نَظْرَةً كُلُّهَا إِعْزَازٌ وَحَنَانٌ وَعَطْفٌ ، ثُمَّ قَالَ يَشْكُو إِلَيْهَا بِدَوْرِهِ مَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ أَلَمٍ :

بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشَةُ وَا رَأْسَاهُ !

وَعَادَتْ عَائِشَةُ تَشْكُو إِلَى زَوْجِهَا مَا تُحِسُّهُ ، وَتَصِفُ لَهُ مَا تَشْعُرُ بِهِ مِنْ أَلَمٍ . فَقَالَ يُفَاكِهُهَا مُدَاعِباً :

وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي : فَقُمْتُ عَلَيْكِ، وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ!

وَلَمْ تُطِقْ عَائِشَةُ هٰذِهِ الدُّعَابَةَ مِنْ زَوْجِهَا، إِذْ هُوَ يُشِيرُ فِيهَا إِلَى مَوْتِهَا، وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَعْدُ شَابَّةً فَتِيَّةً صَغِيرَةً. وَكَانَ رَدُّهَا عَلَيْهِ أَنْ قَالَتْ وَقَدْ تَحَرَّكَتْ غَيْرَتُهَا.

لِيَكُنْ ذٰلِكَ حَظَّ غَيْرِي! وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكَ لَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ، لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ!

فَابْتَسَمَ الرَّسُولُ لِقَوْلِ عَائِشَةَ، وَسَكَتَ بِهِ الْأَلَمُ عَنْ أَنْ يُوَاصِلَ دُعَابَتَهُ مَعَهَا. وَلَمَّا سَكَنَ عَنْهُ الْأَلَمُ بَعْضَ السُّكُونِ، قَامَ يُتِمُّ دَوْرَتَهُ عَلَى سَائِرِ نِسَائِهِ، وَبَقِيَتْ وَمَا تَدْرِي أَنَّ الرَّسُولَ إِذْ يُشِيرُ فِي دُعَابَتِهِ لَهَا إِلَى مَوْتِهَا، قَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْتَهُ قَدْ بَاتَ جِدَّ قَرِيبٍ؛ وَمَا عَرَفَتْ أَنَّهُ إِذْ رَاحَ بِالْأَمْسِ يَزُورُ أَهْلَ الْمَقَابِرِ بِالْبَقِيعِ إِنَّمَا رَاحَ يُحَيِّيهِمْ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، بَعْدَ مَا خُيِّرَ بَيْنَ مَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةِ — وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَالْجَنَّةِ، فَتَخَيَّرَ لِقَاءَ رَبِّهِ وَالْجَنَّةَ.

وَإِذا انتَهَى النَّبيُّ مِنْ طَوافِهِ عَلَى زَوْجَاتِهِ إِلَى بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، جَاءَ النَّبأُ إِلَى عَائِشَــةَ وَإِلَى سَائِرِ نِسَائِهِ يَقُولُ : إِنَّ النَّبِيَّ قَدِ اسْتَبَدَّ بِهِ الْأَلَمُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ العِلَّةُ ، وَأَسْرَعَتْ نِسَاءُ النَّبِيِّ إِلَى بَيْتِ مَيْمُونَةَ يَعُدْنَ زَوْجَهُنَّ الْحَبِيبَ ، تُرِيدُ كُلُّ زَوْجَةٍ أَنْ تَعْمَلَ مَا وَسِعَهَا عَمَلُهُ ، لِتُخَفِّفَ عَنْ زَوْجِهَا مَا يُحِسُّهُ مِنْ أَلَمٍ ، وَتَوَدُّ كُلٌّ مِنْهُنَّ لَوْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْحُوَ عَنِ الرَّسُولِ مَا يَشْـكُوهُ مِنْ مَرَضٍ ، وَهُنَّ حَزِينَاتٌ لِمَرَضِهِ ، مُتَأَلِّمَاتٌ لِأَلَمِهِ .

وَإِذِ الْتَفَفْنَ مِنْ حَوْلِهِ يُمَرِّضْنَهُ ، وَيُعْنَيْنَ بِهِ ، وَهُنَّ آسِفَاتٌ لِمَرَضِهِ ، مُتَأَلِّمَاتٌ لِأَلَمِهِ — سَأَلَ الرَّسُولُ :

أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ ! أَيْنَ أَنَا بَعْدَ غَدٍ ؟ !

وَأَدْرَكَتْ زَوْجَاتُ الرَّسُولِ مِنْ سُؤَالِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ يَوْمَ عَائِشَةَ ، وَاسْتَنْتَجْنَ أَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بِبَيْتِهَا ، فَقُلْنَ :

يَا رَسُولَ اللهِ ، قَدْ وَهَبْنَا أَيَّامَنَا لِعَائِشَةَ .

أَلَا مَا أَنْبَلَ مَا فَعَلَتْ زَوْجَاتُ الرَّسُولِ فِى سَبِيلِ رَاحَةِ الرَّسُولِ .

وَعَادَ الرَّسُولُ يَسْتَأْذِنُ نِسَاءَهُ فِى أَنْ يُمَرَّضَ فِى بَيْتِ عَائِشَةَ ، فَأَذِنَّ لَهُ رَاضِيَاتِ النَّفْسِ . وَانْتَقَلَ الرَّسُولُ إِلَى بَيْتِ الزَّوْجَةِ الْحَبِيبَةِ الَّتِى كَانَتْ أَشَدَّ أَزْوَاجِهِ نِضَالاً فِى سَبِيلِ الِاسْتِئْثَارِ بِحُبِّهِ ، وَأَكْثَرَهُنَّ كِفَاحًا فِى سَبِيلِ الِاحْتِفَاظِ بِهِ . فَبَقِىَ بِبَيْتِهَا تُمَرِّضُهُ وَتَسْهَرُ عَلَيْهِ ، وَتُعْنَى بِهِ بِكُلِّ مَا وَسِعَ جُهْدُ الزَّوْجَةِ الْوَفِيَّةِ الْحَبِيبَةِ ،حَتَّى حَانَتِ اللَّحْظَةُ الَّتِى آنَ لِلرَّسُولِ أَنْ يُوَدِّعَ فِيهَا حَيَاةَ النِّضَالِ وَالْكِفَاحِ الَّتِى عَاشَهَا ، وَأَزِفَتْ سَاعَةُ الْفِرَاقِ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَعَائِشَةَ . حِينَئِذٍ كَانَ الرَّسُولُ يُسْنِدُ رَأْسَهُ إِلَى حِجْرِ عَائِشَةَ فَوَجَدَتْ عَائِشَةُ الرَّسُولَ يَثْقُلُ فِى حِجْرِهَا ، فَذَهَبَتْ تَنْظُرُ فِى وَجْهِهِ ، فَإِذَا بَصَرُهُ قَدْ شَخَصَ وَهُوَ يَقُولُ : بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ .

فَقَالَتْ : خُيِّرْتَ فَاخْتَرْتَ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ !

وَوَصَفَتْ عَائِشَةُ مَا تَلَا هَذِهِ اللَّحْظَةَ الرَّهِيبَةَ الْمُصِيبَةَ

فقَالَتْ : وَقبضَ الرَّسُولُ بَيْنَ سَحْرِى وَنَحْرِى ، فَمِنْ سَفَهِى وحَدَاثَةِ سِنِّى أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ وَهُوَ فِى حِجْرِى ، ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسَهُ عَلَى الْوِسَادَةِ ، وَقُمْتُ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ ، وَأَضْرِبُ وَجْهِى «وَمَعْنَى أَلْتَدِمُ : أَضْرِبُ وَجْهِى وَأَلْطِمُهُ» .

لَكِ الْعُذْرُ يا عَائِشَةُ مَهْمَا فعَلْتِ ، وَفِيمَا خَرَجْتِ بِهِ عَمَّا كَانَ يَنْهَى عَنْهُ رَسُولُ اللّٰهِ النِّسَاءَ : فَالرَّجُلُ الَّذِى زَوَّجَكِ اللّٰهُ إِيَّاهُ طِفْلَةً كَان فَوْقَ الرِّجَالِ ، وَالزَّوْجُ الَّذِى أَحْبَبْتِهِ ونَاضَلْتِ ضَرَائِرَكِ مِنْ أَجْلِهِ كانَ رَسُولاً اخْتَارَهُ اللّٰهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا لِلنَّاسِ .

وَقَرَّرَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُدْفَنَ الرَّسُولُ حَيْثُ مَاتَ . فَدُفِنَ فِى حُجْرَةِ عَائِشَةَ .

وَ بِذٰلِكَ نَالتْ عَائِشَةُ شَرَفَ دَفْنِ الرَّسُولِ بِبَيْتِهَا ، وَكَمَا سَعِدَتْ بِحُبِّهِ حَيًّا ، سَعِدَتْ بِمُجَاوَرَةِ قَبْرِهِ مَيِّتًا .

وَعَاشَتْ عَائِشَةُ سَعِيدَةً بِمُجَاوَرَةِ قَبْرِ مُحَمَّدٍ مَا عَاشَتْ . وَبَقِيَتْ بِمَا أَخَذَتْ مِنْ تَعَالِيمِ الرَّسُولِ خَيْرَ مَنْبَعٍ لِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ مَا بَقِيَتْ .

٢

خُذُوا شَطرَ دِينِكُمْ عَنِ الْحُمَيْرَاء .

بِهٰذَا كَانَ يُوصِي النَّبِيُّ صَحَابَتَهُ ، وَهٰكَذَا كَانَ يُرَدِّدُ الرَّسُولُ الْقَوْلَ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَهُوَ يَعْنِي « بِالْحُمَيْرَاءِ » زَوْجَتَهُ « عَائِشَةَ » ، لِشُقْرَتِهَا وَاحْمِرَارِ شَعْرِهَا .

فَإِذَا مَا أَوْصَى النَّبِيُّ هٰذِهِ الْوَصَايَةَ لِأَصْحَابِهِ ، وَقَالَ مِثْلَ هٰذَا الْقَوْلِ لِلْمُسْلِمِينَ — فَلَا بُدَّ أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ الْعِلْمِ أَنَّ عَائِشَةَ قَدِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُدْرِكَ كُلَّ مَا لَهُ صِلَةٌ بِالدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَبِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَرْسَلَهُ اللّٰهُ لِيَدْعُوَ النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَلَا بُدَّ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ أَعَدَّ عَائِشَةَ لِتَكُونَ خَيْرَ مَصْدَرٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلِتَكُونَ أَمْتَنَ أُسٍّ يُمْكِنُ النَّاسَ الرُّكُونُ إِلَيْهِ .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ فِي آخِرِ عَهْدِ النَّبِيِّ شَابَّةً لَا تَتَجَاوَزُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَلٰكِنَّهَا تُلِمُّ إِلْمَامًا كَافِيًا بِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ

بِرِسَالَةِ الرَّسُولِ . . . وَهٰكَذَا أَصبَحَتْ عَائِشَةُ مِنْ بَعْدِ حَيَاةِ الرَّسُولِ ، أَوَّلَ مَرْجِعٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِى كُلِّ مَا يُغْلِقُ عَلَيْهِمْ فَهْمُهُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَكُلِّ مَا يَسْتَعْصِى عَلَيْهِمْ إِدْرَاكُهُ مِنْ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ مَا تَتَمَتَّعُ بِهِ عَائِشَةُ مِنْ ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ وَقُوَّةِ ذَاكِرَةٍ — يَجْعَلُ النَّبِيَّ يَطْمَئِنُّ عَلَى الْكَثِيرِ مِمَّا سَيَتْرُكُهُ لَدَيْهَا مِنْ تُرَاثٍ عَظِيمٍ .

وَكَانَ فِى نُزُولِ الْوَحْىِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ فِى بَيْتِ عَائِشَةَ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ نِسَائِهِ ، مَا يَدْفَعُ بِعَائِشَةَ إِلَى أَنْ تَتَّجِهَ بِكُلِّ كِيَانِهَا ، وَبِكُلِّ حَوَاسِّهَا — إِلَى تَفَهُّمِ كُنْهِ رِسَالَةِ زَوْجِهَا الْعَظِيمَةِ . . .

وَبِهٰذَا أَصْبَحَتْ عَائِشَةَ مِنْ بَعْدِ وَفَاةِ مُحَمَّدٍ تُشَارِكُ فِى حَمْلِ الْكَثِيرِ مِنْ هَدْىِ الْإِسْلَامِ الَّذِى يَهْتَدِى بِهِ أَئِمَّةُ الْفِقْهِ ، وَتَشْتَرِكُ فِى حَمْلِ مَنَارِ الْعِلْمِ الَّذِى يَسْتَنِيرُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِى أُمُورِ دِينِهِمْ ، وَأَصْبَحَتْ تُعَدُّ فِى أَوَائِلِ صَحَابَةِ الرَّسُولِ الَّذِينَ رَوَوْا

عَنْهُ، وَحَمَلُوا أَحَادِيثَهُ، وَنَشَرُوا تَعَالِيمَهُ إِلَى النَّاسِ ،حَتَّى لَكَانَ أَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ صَاحِبٍ لِمُحَمَّدٍ وَالَّذِي خَلَفَهُ عَلَى أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ — يَسْأَلُهَا،وَيَسْتَعِينُ بِآرَائِهَا ؛ وَكَانَ أَهْلُ الدِّينِ وَأَئِمَّتُهُ يَسْتَشِيرُونَهَا وَيَسْتَفْهِمُونَهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، وَيَلْجَئُونَ إِلَيْهَا فِي حَلِّ كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْكِلاَتِ الَّتِي كَانَتْ تُصَادِفُهُمْ ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَغْلِقُ عَلَيْهِمْ. فَأَخَذَ عَنْهَا أَهْلُ الدِّينِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ؛ وَاسْتَشَارَهَا الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَلِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الَّذِينَ تَوَلَّوُا الْخِلاَفَةَ مِنْ بَعْدِهِ .

وَقَدْ قَالَ عَنْهَا أَحَدُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِسُنَنِ الرَّسُولِ ، وَلاَ أَفْقَهَ فِي رَأْيٍ إِذَا احْتِيجَ إِلى رَأْيِهِ ، وَلاَ أَعْلَمَ بِآيَةٍ فِيمَا أُنْزِلَت وَلاَ بِفَرِيضَةٍ — مِنْ عَائِشَةَ .

وَكَانَ مِنْ إِيمَانِ النَّاسِ بِمَا تَرْوِي، وَمِنْ تَصْدِيقِهِمْ لِمَا تَقُولُ — أَنْ كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا حَدَّثَ عَنْهَا يَقُولُ : وَاللهِ لاَ تَكْذِبُ عَائِشَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ أَبَدًا .

وَكَانَ غَيْرُهُ يَقُولُ إِذَا مَا رَوَى عَنْهَا الْأَحَادِيثَ : حَدَّثَتْنِي الصَّادِقَةُ ابْنَةُ الصِّدِّيقِ . وَلَمْ يَقِفْ عِلْمُ عَائِشَةَ عِنْدَ الدِّينِ وَحْدَهُ، وَلَمْ تُفِدْ مِنْ عِلْمِهَا الْفُقَهَاءَ وَحْدَهُمْ ، بَلْ تَعَدَّى عِلْمُهَا إِلَى الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِ الطِّبِّ كَمَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ زَمَانِهَا ، وَإِلَى الْإِلْمَامِ بِعِلْمِ الْفَلَكِ بِحَسَبِ مَا كَانَ يَتَصَوَّرُهُ الْعَرَبُ ، وَإِلَى التَّحَدُّثِ عَنْ أَنْسَابِ الْعَرَبِ وَسَرْدِ تَوَارِيخِهِمْ ، وَعَرْضِ حَوَادِثِهِمْ .

وَقَدْ سُئِلَتْ عَائِشَةُ ذَاتَ مَرَّةٍ فَقِيلَ لَهَا :

يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هٰذَا الْقُرْآنُ تَلَقَّيْتِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ، وَكَذٰلِكَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، وَهٰذَا النَّسَبُ وَأَحَادِيثُ النَّاسِ ، سَمِعْتِهَا مِنْ أَبِيكِ وَغَيْرِهِ ، فَمَا بَالُ الطِّبِّ ؟

أَجَابَتْ عَائِشَةُ : كَانَتِ الْوُفُودُ تَأْتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَشْكُو عِلَّةً ، فَيَسْأَلُهُ عَنْ دَوَائِهَا ، فَيُخْبِرُهُ بِذٰلِكَ ، فَحَفِظْتُ مَا كَانَ يَصِفُهُ لَهُمْ وَفَهِمْتُهُ .

إِنَّ مَا فَهِمَتْهُ وَمَا حَفِظَتْهُ عَائِشَةُ مِمَّا كَانَ يَصِفُ رَسُولُ اللهِ لِوُفُودِهِ يَدْعُو حَقًّا إِلَى الْإِعْجَابِ الشَّدِيدِ بِذَكَائِهَا

وَقُوَّةِ ذَاكِرَتِهَا ، وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَغْرَبٍ مِنَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ الَّتِي عُرِفَتْ بِرَجَاحَةِ الْعَقْلِ ، وَتَوَقُّدِ الذِّهْنِ ، وَقُوَّةِ الذَّاكِرَةِ .

أَمَّا مَا كَانَتْ تَعْرِفُ عَائِشَةُ فِي عِلْمِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ وَالْفَلَكِ فَقَدْ أُخِذَ أَيْضًا عَنْهَا ، وَظَلَّ يُحْكَى وَيُتَحَدَّثُ بِهِ مِنْ بَعْدِهَا .

سَهِرَتْ يَوْمًا عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ ، بِنْتُ أُخْتِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ — مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ ، وَتَذَاكَرَ الرِّجَالُ فِي سَهْرَتِهِمْ أَخْبَارَ الْعَرَبِ ، وَتَحَدَّثُوا فِي أَشْعَارِهَا ، وَحَكَوْا عَنْ أَيَّامِهَا ، وَعَائِشَةُ تُفِيضُ مَعَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَطْرُقُونَهُ وَيُفِيضُونَ فِيهِ . وَمَا طَلَعَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ أَثْنَاءَ مَجْلِسِهِمْ هٰذَا ، وَلَا غَارَ كَوْكَبٌ — إِلَّا عَرَفَتْهُ وَسَمَّتْهُ ، مِمَّا دَعَا أَحَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْأَلَهَا دَهِشًا مُسْتَعْجِبًا : أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَا أُنْكِرُهُ ، وَأَمَّا النُّجُومُ فَمِنْ أَيْنَ لَكِ ؟!

قَالَتْ : أَخَذْتُهَا عَنْ خَالَتِي عَائِشَةَ .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ فَوْقَ هٰذَا كُلِّهِ فَصِيحَة

اللِّسَانِ فَصَاحَةً كَانَتْ أَيْضًا مَثَارًا لِلْعَجَبِ ، وَكَانَتْ فَوْقَ هٰذَا وَذَاكَ تَتَمَثَّلُ بِالشِّعْرِ وَتَرْوِيهِ ، وَكَانَتْ خَطِيبَةً بَلِيغَةً ، جَهُورِيَّةَ الصَّوْتِ ، وَقَدْ شَهِدَ بِبَلَاغَتِهَا وَفَصَاحَتِهَا الْكَثِيرُونَ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ فِيهَا الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ – وَهُوَ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ فِي عَصْرِهِ :

سَمِعْتُ خُطْبَةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُمْ . فَمَا سَمِعْتُ الْكَلَامَ مِنْ فَمِ مَخْلُوقٍ أَفْخَمَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ فَمِ عَائِشَةَ .

وَظَلَّتْ عَائِشَةُ تَقُومُ بِرِسَالَتِهَا هٰذِهِ : يَسْتَرْشِدُ بِرَأْيِهَا الْخُلَفَاءُ ، وَيَسْتَفْتِيهَا الْفُقَهَاءُ ، وَيَسْتَشِيرُهَا الرُّوَاةُ فِي الْأَخْبَارِ ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا الْمُحَدِّثُونَ ، وَيَلْجَأُ إِلَيْهَا الْمُخْتَلِفُونَ وَالشَّاكُّونَ ، وَيَحْتَجُّ بِرَأْيِهَا وَرِوَايَتِهَا هٰؤُلَاءِ جَمِيعًا – وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ لَا تَزَالُ شَابَّةً حَدَثَةً صَغِيرَةَ السِّنِّ – حَتَّى صَدْرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ . ثُمَّ حَدَثَ مَا دَعَاهَا لِأَنْ تُشَارِكَ أَيْضًا فِيمَا يَحْدُثُ مِنْ أَحْدَاثٍ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَتُشَارِكَ فِي كُلِّ مَا جَرَى مِنْ تَدَابِيرَ سِيَاسِيَّةٍ وَحَرْبِيَّةٍ .

٣

بُويِعَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَرَأَتْ فِيهِ عَائِشَةُ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ مَنْ يَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ بَعْدَ عُمَرَ : فَعُثْمَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِأَبِيهَا أَبِي بَكْرٍ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ، قَبْلَ أَنْ يُقَابِلَ مُحَمَّدًا نَفْسَهُ؛ وَعُثْمَانُ كَانَ فِي أَوَائِلِ مَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحَبَشَةِ إِجَابَةً لِرَغْبَةِ الرَّسُولِ حَتَّى لَا يُفْتَنَ الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ، وَعُثْمَانُ كَانَ زَوْجًا لِابْنَتَيْنِ مِنْ بَنَاتِ الرَّسُولِ هُمَا : رُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُوم. وكَانَ عُثْمَانُ بَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ خَيْرَ مَنْ جَاهَد بِنَفْسِهِ، وَبَذَلَ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ.

وَأَحَبَّ النَّاسُ عُثْمَانَ لِطِيبَتِهِ وَحِلْمِهِ، وَلِينِ جَانِبِهِ، وَكَثْرَةِ إِحْسَانِهِ، ثُمَّ كَانَتْ هٰذِهِ الصِّفَاتُ مِنْ بَعْدُ سَبَبًا فِي أَنْ يَكْرَهَهُ النَّاسُ، وَيَنْقِمُوا عَلَيْهِ، وَيُجْمِعَ بَعْضُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ.

فَقَدْ كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ هٰذِهِ أَنِ اسْتَطَاعَ أَقَارِبُهُ مِنْ

بَنِي أُمَيَّةَ أَنْ يَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِ، فَوَلَّاهُمُ الأَمْصَارَ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ: وَبِسَبَبِهِمْ أَقْصَى الْكَثِيرِينَ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ عَمَّا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا فِيهِ مِنْ مَنَاصِبَ، وَبِسَبَبِهِمْ أَيْضاً أَسَاءَ إِلَى رِجَالٍ كَانَتْ لَهُمْ يَدٌ وَسَابِقَةٌ حَسَنَةٌ عَلَى الإِسْلَامِ، وَأَغْضَبَ هٰذَا التَّصَرُّفُ الْكَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ، وَغَضِبَتْ عَائِشَةُ كَمَا غَضِبَ النَّاسُ؛ فَحَاوَلُوا وَحَاوَلَتْ أَنْ يُسْدُوا جَمِيعاً النُّصْحَ إِلَى عُثْمَانَ، مُبَيِّنِينَ لَهُ فَسَادَ مَا يَتَّبِعُ مِنْ سِيَاسَةٍ، شَارِحِينَ لَهُ ضَرَرَ مَا يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ تَصَرُّفٍ خَاطِئٍ؛ فَكَانَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ، وَيَأْخُذُ بِنُصْحِهِمْ، وَيَعْمَلُ عَلَى مَحْوِ دَوَاعِي غَضَبِهِمْ، وَإِزَالَةِ مُسَبِّبَاتِ نِقْمَتِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَغْلِبَهُ مُسْتَشَارُوهُ مِنْ ذَوِي رَحِمِهِ عَلَى أَمْرِهِ، فَيَعُودَ إِلَى مَا كَانَ يَنْهَجُ مِنْ تَصَرُّفٍ، وَيَرْجِعَ إِلَى مَا كَانَ يَتَّخِذُ مِنْ سِيَاسَةٍ؛ فَكَانَ مِنْ ذٰلِكَ أَنِ ازْدَادَ غَضَبُ الْكَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَنْ كَثُرَتْ أَسْبَابُ النِّقْمَةِ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ، وَكَانَ أَنْ زَهِدَ الْكَثِيرُونَ فِي خِلَافَتِهِ، وَكَرِهُوا

إِمَارَتَهُ عَلَيْهِمْ . وَكَذٰلِكَ كَرِهَتْ عَائِشَةُ سِيَاسَةَ عُثْمَانَ ، وَكَذٰلِكَ ازْدَادَ غَضَبُهَا ، وَكَثُرَ اسْتِيَاؤُهَا .

وَكَانَ مِنْ مَظَاهِرِ غَضَبِ عَائِشَةَ أَنْ أَصْبَحَتْ تُنَدِّدُ بِسِيَاسَةِ عُثْمَانَ ، وَتَعِيبُ تَصَرُّفَاتِهِ عَلَى الْمَلَإِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَحِينَمَا غَضِبَ عُثْمَانُ يَوْمًا عَلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ غَضَبًا أَدَّى بِهِ إِلَى أَنْ يَضْرِبَهُ وَيَشْتُمَهُ — وَكَانَ عَمَّارٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ أُوذُوا وَاضْطُهِدُوا فِي سَبِيلِ دِينِهِمْ — أَخْرَجَتْ عَائِشَةُ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ الرَّسُولِ ، وَنَعْلاً مِنْ نِعَالِهِ ، وَثَوْبًا مِنْ ثِيَابِهِ ، وَقَالَتْ — تُنَدِّدُ بِمَا كَانَ مِنْ عُثْمَانَ — :

مَا أَسْرَعَ مَا تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، وَهٰذَا شَعْرُهُ وَثَوْبُهُ وَنَعْلُهُ لَمْ يَبْلَ بَعْدُ .

فَغَضِبَ عُثْمَانُ لِذٰلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا .

وَحِينَمَا عَزَلَ عُثْمَانُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنْ بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ ، وَقَدِمَ عَبْدُ اللهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ إِلَى مَسْجِدِهَا — قَالَ عُثْمَانُ لِأَصْحَابِهِ حِينَ رَأَى ابْنَ مَسْعُودٍ دَاخِلاً :

قَدِمَتْ عَلَيْكُمْ دُوَيبَّةُ سُوءٍ .

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : لَسْت كَذَلِكَ ، وَلَكِنِّى صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَيَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ .

وَسَمِعَتْ عَائِشَةُ ذٰلِكَ ، فَنَادَتْ : أَىْ عُثْمَانُ ؛ أَتَقُولُ هٰذَا لِصَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ؟ !

وَوَلَّى عُثْمَانُ عَلَى الْكُوفَةِ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِهِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ شَجَاعَتِهِ وَكَرَمِهِ سَيِّئَ السِّيرَةِ ، فَبَرِمَ بِهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَكَرِهُوهُ ؛ وَأَتَى وَفْدٌ مِنْهُمْ إِلىعُثْمَانَ يَشْكُونَ إِلَيْهِ الْوَلِيدَ . فَغَضِبَ عُثْمَانُ لِكَثْرَةِ شَكْوَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ مِنْ عُمَّالِهِ وَوُلَاتِهِ حَتَّى أَخِيهِ ، وَقَالَ لِوَفْدِ الْكُوفَةِ غَاضِباً مُهَدِّدًا : أَكُلَّمَا غَضِبَ رَجُلٌ مِنْكُمْ عَلَى أَمِيرِهِ رَمَاهُ بِالْبَاطِلِ؟ ! لَئِنْ أَصْبَحْتُ لَكُمْ لَأُنَكِّلَنَّ بِكُمْ .

فَاسْتَجَارُوا بِعَائِشَةَ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ مُرَاجَعَتِهَا لِعُثْمَانَ .

وَأَصْبَحَ عُثْمَانُ ، فَسَمِعَ مِنْ حُجْرَةِ عَائِشَةَ صَوْتاً وَكَلَاماً فِيهِ بَعْضُ الْغِلْظَةِ ، فَقَالَ :

أَمَا يَجِدُ مُرَّاقُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفُسَّاقُهُمْ مَلْجَأً إِلَّا بَيْتَ عَائِشَةَ ؟!

فَسَمِعَتْ ، فَرَفَعَتْ نَعْلَ رَسُولِ اللهِ ، وَقَالَتْ : تَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صَاحِبِ هٰذَا النَّعْلِ .

وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِمَا حَدَثَ ، فَتَوَافَدُوا إِلَى الْمَسْجِدِ يَتَزَاحَمُونَ : فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَعُودُ بِاللَّائِمَةِ عَلَى عُثْمَانَ ، وَفَرِيقٌ يَرَى عَكْسَ ذٰلِكَ ، وَأَخَذُوا يَتَنَاقَشُونَ وَيَتَجَادَلُونَ ، حَتَّى أَدَّى الْخِلَافُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى أَنْ يَتَشَاحَنَا وَيَتَضَارَبَا .

وَتَدَخَّلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ، فَدَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ يَلُومُونَهُ ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ إِنْصَافَ النَّاسِ مِنْ عُمَّالِهِ .

وَظَلَّ هٰذَا حَالَ عُثْمَانَ ، وَظَلَّتْ هٰذِهِ سِيَاسَتَهُ ، يَنْصَحُونَهُ ، فَيَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ ، وَيَسْتَجِيبُ إِلَى نُصْحِهِمْ ، ثُمَّ سُرْعَانَ مَا يَعْدِلُ وَيَعُودُ إِلَى سِيَاسَتِهِ الَّتِي رَسَمَهَا لِنَفْسِهِ وَضَاقَ أَكْثَرُ النَّاسِ بِهَا ، وَسَئِمُوهَا ، وَأَعْلَنُوا اسْتِنْكَارَهُمْ لَهَا .

وَثَارَ نَفَرٌ مِنْهُمْ عَلَى وُلَاتِهِ ، وَكَانَ أَنْ أَجْمَعَ هٰؤُلَاءِ الثُّوَّارُ عَلَى خَلْعِ عُثْمَانَ ، فَتَكَاتَبُوا وَتَوَاعَدُوا ، وَغَادَرَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ

دِيَارَهُ ، مُظْهِرًا أَنَّهُ خَرَجَ لِيَحُجَّ بَيْتَ اللهِ ، وَهُمْ لَا يَبْتَغُونَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلا حِصَارَ عُثْمَانَ ، فَإِمَّا خَلَعُوهُ وَإِمَّا قَتَلُوهُ .

وَسَارَ الثُّوَّارُ الْقَادِمُونَ مِنْ مِصْرَ يُؤَيِّدُهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانُوا يَمِيلُونَ إِلَى أَنْ يُوَلَّى الْخِلَافَةَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وَسَارَ الثُّوَّارُ الْقَادِمُونَ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَكَانُوا يَمِيلُونَ إِلَى أَنْ يُوَلَّى الْخِلَافَةَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ .

وَسَارَ الثُّوَّارُ الْقَادِمُونَ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانُوا يَمِيلُونَ إِلَى أَنْ يُوَلَّى الْخِلَافَةَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيّ ، وَرَابَطُوا جَمِيعًا فِي مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ .

وَعَلِمَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِنَوَايَاهُمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ بِعَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، يَسْتَمِعُ إِلَى شَكَايَتِهِمْ وَيَعِدُهُمْ بِإِزَالَةِ أَسْبَابِهَا ، وَقَامَ عَلِيٌّ بِمُهِمَّتِهِ خَيْرَ قِيَامٍ ، فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ وَهُمْ رَاضُونَ مُطْمَئِنُّونَ .

وَلَمْ يَمْضِ عَلَى هٰذَا الْأَمْرِ غَيْرُ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ حَتَّى عَادَ الثَّائِرُون ، فَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَلَمَّا سُئِلُوا عَنْ سَبَبِ عَوْدَتِهِمْ .

بعْدَ أنْ أَظهرَ عُثْمَانُ أَنَّهُ استجَابَ لَهُمْ ، وَأَعْطَاهُمْ وُعُودًا مُرْضِيَةً حَسَنَةً — قَالَ الْمِصْرِيُّونَ : لَقَدْ عَثَرْنَا مَعَ بَرِيدِ عُثْمَانَ إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ كِتَابًا يَطْلُبُ مِنْهُ فِيهِ أَنْ يَقْتُلَنَا وَيُمَثِّلَ بِنَا إِذَا مَا عُدْنَا إِلَى مِصْرَ .

وَسُئِلَ عُثْمَانُ عَنْ أَمْرِ هٰذا الْكِتَابِ فَأَظْهَرَ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، وَكَانَ الْكِتَابُ مَمْهُورًا بِخَاتَمِهِ الَّذِى يَسْتَعْمِلُهُ بِالنِّيابَةِ عَنْهُ كَاتِبُهُ وَمُسْتَشَارُهُ وَقَرِيبُهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ .

وَحَاصَرَ الثُّوَّارُ الْمَدِينَةَ ، وَغَايَتُهُمْ مُحَاصَرَةُ عُثْمَانَ ، فَإِمَّا أَنْ يَخْلَعُوهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَقْتُلُوهُ .

وَتَأَهَّبَتْ نِسَاءُ النَّبِيِّ لِمُغَادَرَةِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ يَبْغِينَ الْحَجَّ. وَجَاءَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ إِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهَا الْبَقَاءَ لِمُنَاصَرَةِ عُثْمَانَ قَائِلاً لَهَا :

لَوْ أَقَمْتِ ! فَلَعَلَّ اللهَ يَدْفَعُ بِكِ عَنْ هٰذَا الرَّجُلِ !

قَالَتْ عَائِشَةُ : قَدْ قَرَنْتُ رِكَابِى ، وَأَوْجَبْتُ الْحَجَّ عَلَى نَفْسِى ، واللهِ لا أَفْعَلُ .

وَرَفَضتْ عَائِشَةُ الْعَمَلَ عَلَى مُنَاصَرَةِ عُثْمَانَ ، وَزَادَتْ فَقَالَتْ لِمَرْوَانَ :

وَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّهُ فِي غِرَارَةٍ مِنْ غَرَائِرِي هٰذِهِ ، وَأَنِّي طُوِّقْتُ حَمْلَهُ حَتَّى أُلْقِيَهُ فِي الْبَحْرِ .

وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ بِعَائِشَةَ عَلَى مَا أَظْهَرَتْهُ مِنْ غَضَبٍ وَسُخْطٍ عَلَى عُثْمَانَ ، بَلْ رَاحَتْ تَحُضُّ عَلَى عَدَمِ مُنَاصَرَتِهِ ، وَتُؤَلِّبُ النَّاسَ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي أَوْفَدَهُ عُثْمَانُ أَمِيرًا عَلَى الْحَجِّ فِي هٰذِهِ السَّنَةِ ، وَأَعْطَاهُ كِتَابًا يَقْرَؤُهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْحَجِّ مُظْهِرًا فِيهِ أَنَّهُ عَدَّلَ سِيَاسَتَهُ ، وَيُنَاشِدُهُمْ مُنَاصَرَتَهُ :

يَا بْنَ عَبَّاسٍ ؛ إِنَّ اللهَ قَدْ أَتَاكَ عَقْلاً ، وَفَهْمًا ، وَبَيَانًا ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تَرُدَّ النَّاسَ عَنْ هٰذَا الطَّاغِيَةِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ قَدِ اتَّخَذَ عَلَى بُيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ مَفَاتِيحَ ؛ فَإِنْ يَلِ ، يَسِرْ بِسِيرَةِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي بَكْرٍ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا أُمَّهْ ؛ لَوْ حَدَثَ بِالرَّجُلِ حَدَثٌ مَا فَزِعَ النَّاسُ إِلَّا إِلَى صَاحِبِنَا (يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ) .

قَالَتْ : إِيهاً عَنْكَ !..! إِنِّى لَسْتُ أُرِيدُ مُكَابَرَتَك وَلا مُجَادَلَتَكَ .

وَقرأ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى النَّاسِ فِى الْحَجِّ كِتَابَ عُثْمانَ . فَكَانَ لِوَقْعِهِ فِى نُفُوسِهِمْ رِقَّةٌ ، وَكَانَ لِاسْتِنْصَارِ عُثْمانَ فِى قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِيجَابٌ . وَلَكِنْ مَا كَادَ النَّاسُ يَنْصَرِفُونَ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ حَجُّوا بَيْتَ اللهِ ، وَهُمْ لاَ حَدِيثَ لَهُمْ إِلاَّ عَنْ حِصَارِ الثَّائِرِينَ لِعُثْمانَ : حَتَّى جَاءَهُمْ نَبأُ مَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ عُثْمان ، وَمُبَايعةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

وَجَاءَ خَبَرُ مَقْتَلِ عُثْمانَ إِلَى عَائِشَةَ وَهِىَ تَتَأَهَّبُ لِمُغَادَرَةِ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَمَا شَكَّتْ فِى أَنَّ الْخِلافَةَ صَائِرَةٌ إِلَى قَرِيبِهَا طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيِّ .

فَلَمَّا كَانَتْ بِطَرِيقِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْتَقَتْ بِعُبَيْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ اللَّيْثِيِّ مُقْبِلاً مِن الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلَتْهُ : مَا عِنْدَكَ ؟

قَالَ : قُتِلَ عُثْمَانُ .

سَأَلَتْ : ثُمَّ مَاذَا ؟

قَالَ : بَايِعُوا عَلِيًّا .

قَالَتْ جَزِعَةً : لَوَدِدْتُ أَنَّ السَّمَاءَ انطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ إِنْ تَمَّ هٰذَا . . . وَيْحَكَ ! انظُرْ مَاذَا تَقُولُ !

قَالَ : هُوَ مَا قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ .

فَلَمْ تَمْلِكْ عَائِشَةُ نَفْسَهَا مِنْ أَنْ تُوَلْوِلَ بَاكِيَةً . . . ثُمَّ تَقُول :

رُدُّونِي . . . رُدُّونِي ! .

ثُمَّ أَمَرَتْ بِرَكَائِبِهَا فَحُوِّلَتْ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَرَّتْ عَائِدَةً مِنْ حَيْثُ أَتَتْ وَهِيَ وَاجِمَةٌ سَاكِتَةٌ ، تُتَمْتِمُ بَيْنَ وَقت وَآخَرَ: قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُوماً . . . ! قُتِلَ ابْنُ عَفَّانَ مَظْلُومًا .

فَمَا الَّذِي جَزِعَتْ لَهُ عَائِشَةُ . . ؟ ! وَمَا الَّذِي أَعَادَهَا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ . . ؟ ! وَمَا الَّذِي غَيَّرَ مِنْ فِكْرِهَا فَجَعَلَهَا تَرَى عُثْمَانَ مَظْلُومًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَرَاهُ ظَالِماً . . ؟ !

لَقَدْ صَرَّحَتْ عَائِشَةُ قَبْلَ ذٰلِكَ بِأَمَلِهَا فِي أَنْ يَلِيَ

الْخِلَافَةَ قَرِيبُهَا ، وَزَوْجُ أُخْتِهَا ، طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، وَكَانَتْ تَرَى فِي طَلْحَةَ إِذَا مَا تَوَلَّى الْخِلَافَةَ حُسْنَ السِّيرَةِ ، وَعَدْلَ السِّيَاسَةِ .

ثُمَّ هَا هِيَ تِي تَسْمَعُ بِأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدْ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ ، فَإِذَا بِهَا تَجْزَعُ ، وَإِذَا بِهَا تَتَأَلَّمُ ، وَإِذَا بِهَا تَكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّ الْكُرْهِ .

ثُمَّ هَا هِيَ تِي تَكْرَهُ أَنْ تَدْخُلَ الْمَدِينَةَ عَلَى عَلِيٍّ الَّذِي بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَتَكُرُّ عَائِدَةً إِلَى مَكَّةَ وَقَدِ اكْتَنَفَهَا الْوُجُومُ ، وَاسْتَغْرَقَهَا التَّفْكِيرُ الْعَمِيقُ ، لَا يُسْمَعُ مِنْهَا قَوْلٌ غَيْرُ تَمْتَمَتِهَا مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ :

قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُومًا !

فَمَا الَّذِي حَدَا بِعَائِشَةَ لِأَنْ تَكْرَهَ الْمُبَايَعَةَ لِعَلِيٍّ بِالْخِلَافَةِ ؟ وَهَلْ كَانَتْ تَرَى فِي خِلَافَتِهِ غَيْرَ مَا كَانَتْ تَأْمُلُ مِنْ خِلَافَةِ طَلْحَةَ ؟ أَوْ هَلْ كَانَ الدَّافِعُ لَهَا عَلَى ذَلِكَ دَوَاعِيَ وَأَسْبَابًا أُخْرَى ؟ وَمَا هُوَ التَّفْكِيرُ الَّذِي رَاوَدَ فِكْرَهَا ؟ وَمَا هِيَ الْخَوَاطِرُ

الَّتِي مَرَّتْ بِخَاطِرِهَا ، فَجَعَلَتْهَا تَرَى فِي عُثْمَانَ غَيْرَ مَا كَانَتْ تَرَاهُ فِيهِ مِنْ قَبْلُ .. ؟

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ : إِنَّ عَائِشَةَ فِي وُجُومِهَا وَتَفْكِيرِهَا هٰذَيْنِ كَانَتْ بِلَا شَكٍّ تَسْتَرْجِعُ فِي مُخَيِّلَتِهَا مَا عَبَرَتْهُ مِنْ سِنِينَ طَوِيلَةٍ ، وَتَسْتَعْرِضُ مَا مَرَّ فِي تِلْكَ السِّنِينَ مِنْ أَحْدَاثٍ ، وَجَازَ بِهَا مِنْ حَوَادِثَ ، فَتَرَى فِي أَحْدَاثِهَا مَا أَحْفَظَهَا عَلَى عَلِيٍّ ، وَتُشَاهِدُ فِي حَوَادِثِهَا مَا أَحْقَدَهَا عَلَيْهِ ، فَتَرَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ، الْمُقَرَّبَةَ إِلَى قَلْبِهِ ، زَوْجَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَتَتَمَثَّلُ حُبَّ أَبِيهَا لَهَا ، وَقَوْلَهُ عَنْهَا :

فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَإِنَّهَا عَدِيلَةُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ .

وَقَوْلَهُ : إِنَّ فَاطِمَةَ إِذَا مَرَّتْ فِي الْمَوْقِفِ (أَيْ مَوْقِفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) نَادَى مُنَادٍ مِنْ جِهَةِ الْعَرْشِ :

يَا أَهْلَ الْمَوْقِفِ ؛ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ لِتَعْبُرَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ .

ثُمَّ قَوْلَهُ عَنْ فَاطِمَةَ : يُؤْذِينِي مَا يُؤْذِيهَا ، وَيُغْضِبُنِي مَا يُغْضِبُهَا ، وَإِنَّهَا بِضْعَةٌ مِنِّي ، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا .

ثُمَّ تُشَاهِدُ كَيْفَ رُزِقَتْ فَاطِمَةُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ ! وَكَيْفَ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ بِأَوْلَادِهِ فَيَقُولُ : ادْعُوا إِلَيَّ ابْنِي . . . . أَوْ يَسْتَفْهِمُ : مَا فَعَلَ ابْنِي . . ؟

وَكَيْفَ كَانَ يَحُزُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِهَا ؛ إِذْ لَمْ تُنْجِبْ هِيَ لِزَوْجِهَا وَلَدًا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ وَعَيْنُهَا .

كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الرَّسُولِ لِابْنَتِهِ وَأَوْلَادِهَا كَانَ يَتْرُكُ فِي نَفْسِ عَائِشَةَ أَثَرًا ، أَقَلُّ مَا يُقَالُ فِيهِ أَنَّهُ أَثَرٌ مِنْ حُبِّ النَّفْسِ وَغَيْرَتِهَا .

وَلَا بُدَّ أَيْضًا أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَسْتَعْرِضُ فِي مُخَيِّلَتِهَا مَا كَانَتْ تُحِسُّهُ مِنْ فُتُورِ فَاطِمَةَ نَحْوَهَا وَنُفُورِهَا مِنْ صُحْبَتِهَا .

فَقَدْ كَانَتْ فَاطِمَةُ تَعُدُّ عَائِشَةَ ضَرَّةَ أُمِّهَا الْحَقَّةَ ، بِرَغْمِ أَنَّ أَبَاهَا لَمْ يَتَزَوَّجْ بِعَائِشَةَ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ ، وَذَلِكَ لِمَا كَانَتْ تُظْهِرُهُ عَائِشَةُ دَائِمًا مِنْ غَضَبٍ وَغَيْرَةٍ ، لِمَا كَانَ يَحْمِلُهُ مُحَمَّدٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ وَفَاءٍ وَذِكْرَى حَسَنَةٍ لِزَوْجَتِهِ الْمُتَوَفَّاةِ .

وَلَا بُدَّ أَنْ تَذْكُرَ عَائِشَةُ كَذَلِكَ أَنَّ فَاطِمَةَ كَانَتْ رَسُولَ

زَوْجَاتِ أَبِيهَا إِلَى أَبِيهَا ، تَطْلُبُ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِنَّ أَنْ يَمْنَحَهُنَّ مِنْ عَطْفِهِ وَقَلْبِهِ وَبِرِّهِ مَا يَمْنَحُ عَائِشَةَ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تُحَدِّثُهُ فِي هٰذَا أَمَامَ عَائِشَةَ نَفْسِهَا .

ثُمَّ كَيْفَ كَانَتْ فَاطِمَةُ تَنْفَسُ عَلَى عَائِشَةَ حُبَّ الرَّسُولِ الْعَظِيمَ لَهَا ، وَتَدْلِيلَهُ إِيَّاهَا .

ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ زِيَادَةِ هٰذَا التَّوَتُّرِ وَالنُّفُورِ بَيْنَ فَاطِمَةَ وَعَائِشَةَ بِمَا كَانَتْ تَمْشِي بِهِ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ مِنْ نَقْلِ حَدِيثِ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى .

وَبَدِيهِيٌّ – وَهٰذَا هُوَ الشُّعُورُ الْمُتَبَادَلُ بَيْنَ عَائِشَةَ وَفَاطِمَةَ – أَنْ يَكُونَ هُوَ نَفْسُهُ الشُّعُورَ الْمُتَبَادَلَ بَيْنَ عَائِشَةَ وَبَيْنَ زَوْجِ فَاطِمَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

ثُمَّ كَانَ عَلِيٌّ فَوْقَ ذٰلِكَ الشَّخْصَ الْمُقَرَّبَ الْمُحَبَّبَ إِلَى قَلْبِ رَسُولِ اللّٰهِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَكَانَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ تَفُوقُ مَنْزِلَةَ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ فِي تَقْرِيبِ الرَّسُولِ لِعَلِيٍّ مَا يَسُوءُ عَائِشَةَ ، وَفِي اسْتِدْنَائِهِ لَهُ فِي مَجَالِسِهِ مَا يُثِيرُهَا . حَتَّى أَتَى حَادِثُ

الإفك الَّذِي رُمِيَتْ فِيهِ عَائشةُ بِتُهْمَةٍ بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهَا ، وَكَانَ مَوْقِفُ صَحَابَةِ الرَّسُولِ الَّذِينَ اسْتَشَارَهُمْ فِي أَمْرِ عَائشةَ مَوْقِفَ الْمُدَافِعِ عَنْهَا ، الْمُبَرِّئِ لها . أَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ يُدَافِعْ وَلَمْ يُبَرِّئْ ، وَإِنَّمَا أَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ بِتَطْلِيقِهَا ، وَأَشَارَ بِضَرْبِ جَارِيَتِهَا وَاسْتِجْوَابِهَا حَتَّى تَعْتَرِفَ بِمَا تَعْلَمُ عَنْ سَيِّدَتِهَا .

وَحَزَّ مَوْقِفُ عَلِيٍّ هٰذَا فِي نَفْسِ عَائشةَ ، وَسَاءَهَا إِسَاءَةً لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْسَاهَا لَهُ مِنْ بَعْدُ ، لَا سِيَّمَا أَنَّهَا رَأَتْ عَلِيًّا بَعْدَ ذٰلِكَ يَسْعَى سَعْيَهُ ، وَيَعْمَلُ جُهْدَهُ ، فِي تَبْرِئَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ مِنْ تُهْمَةٍ مُمَاثِلَةٍ لِتُهْمَتِهَا ، حَتَّى أَظْهَرَ اللهُ بُطْلَانَهَا عَلَى يَدَيْهِ .

ثُمَّ تَتَمَثَّلُ عَائِشَةُ مَا حَدَثَ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ مِنْ رَغْبَةِ عَلِيٍّ فِي تَوَلِّي الْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَرَغْبَةِ فَاطِمَةَ الشَّدِيدَةِ فِي إِتْمَامِ هٰذَا الْأَمْرِ ، وَسَعْيِهَا وَمُجَاهَدَتِهَا مِنْ أَجْلِ تَوْلِيَةِ زَوْجِهَا بَعْدَ أَنْ بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ . ثُمَّ تَتَمَثَّلُ مَا جَرَى فِي ذٰلِكَ الْحِينِ مِنْ مُنَاقَشَاتٍ وَمُجَادَلَاتٍ كَانَ مِنْهَا الْقَوْلُ بِأَنَّ عَائشةَ كَانَتْ عَامِلًا أَوَّلَ فِي تَهْيِئَةِ الْجَوِّ ، وَتَمْهِيدِ الطَّرِيقِ لِخِلَافَةِ

أَبِيهَا بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ .

وَمَاتَتْ فَاطِمَةُ ! وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ ! وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ تَوَلَّاهَا مِنْ بَعْدِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّان ، وَعَائِشَةُ رَاضِيَةُ النَّفْسِ ، مُطْمَئِنَّةُ الْقَلْبِ ، حَتَّى رَأَتْ فِي سِيَاسَةِ عُثْمَانَ مَا خَرَجَ بِهَا عَنْ هٰذَا الرِّضَاء ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ ذَاكَ الِاطْمِئْنَانِ ، فَجَهَرَتْ بِغَضَبِهَا عَلَى عُثْمَانَ وَمَالَتْ إِلَى خَلْعِهِ ، وَتَمَنَّتْ تَوْلِيَةَ قَرِيبِهَا طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ .

ثُمَّ هَا هُوَ ذَا عُثْمَانُ يُقْتَلُ ، وَيُبَايَعُ بِالْخِلَافَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وَجَمَتْ عَائِشَةُ ، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ : لَقَدْ كَرِهَتْ عَائِشَة عُثْمَانَ ، وَنَقَمَتْ عَلَيْهِ سِيَاسَتَهُ ، وَأَبْغَضَتْ خِلَافَتَهُ ، فَإِذَا الَّذِي يَتَوَلَّاهَا مَنْ هُوَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى قَلْبِهَا .

وَوَازَنَتْ عَائِشَةُ بَيْنَ عُثْمَانَ وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، فَرَأَتْ أَنَّ خِلَافَةَ عُثْمَانَ كَانَتْ أَهْوَنَ حَمْلًا وَأَخَفَّ عَلَى نَفْسِهَا ، وَنَظَرَتْ إِلَى عُيُوبِ عُثْمَانَ فِي سِيَاسَتِهِ : فَرَأَتْهُ قَدْ أَعْلَنَ أَنَّهُ سَيَعْمَلُ عَلَى

تَعْدِيلِ سِيَاسَتِهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ بِإِزَالَةِ أَسْبَابِ شَكْوَى النَّاسِ مِنْهُ ؛ أَمَا وَقَدْ قَتَلَهُ النَّاسُ قَبْلَ أَنْ يُنَفِّذَ مَا وَعَدَ فَقَدْ مَاتَ مَظْلُومًا . وَعَلَى ذَلِكَ دَخَلَتْ عَائِشَةُ مَكَّةَ وَهِيَ تَصِيحُ :

وَا عُثْمَانَاهُ . . ! قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُومًا . . ! لَأَطْلُبَنَّ بِدَمِهِ . . !

وَسَأَلَ نَفَرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ — وَقَدْ رَأَوْهَا تَبْكِي عُثْمَانَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تُؤَلِّبُ النَّاسَ عَلَيْهِ — : أَلَمْ تَكُونِي بِالْأَمْسِ ضِدَّهُ ، تُحَرِّضِينَ النَّاسَ عَلَيْهِ ، وَتُؤَلِّبِينَهُمْ عَلَى خِلَافَتِهِ ؟!

قَالَتْ : لَكِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِهِ فَرَأَيْتُهُمُ اسْتَتَابُوهُ ، فَلَمَّا تَابَ ، قَتَلُوهُ وَهُوَ صَائِمٌ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ ، وَأَخَذُوا الْمَالَ الْحَرَامَ . . . ! وَاللهِ لَإِصْبَعُ عُثْمَانَ خَيْرٌ مِنْ طِبَاقِ الْأَرْضِ مِنْ أَمْثَالِهِمْ . . . وَاللهِ لَلَيْلَةٌ مِنْ عُثْمَانَ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ الدَّهْرَ كُلَّهُ . وَضُرِبَتْ لِعَائِشَةَ خَيْمَتُهَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَفِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ رَاحَتْ عَائِشَةُ تُؤَلِّبُ النَّاسَ عَلَى خِلَافَةِ عَلِيٍّ ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْأَخْذِ بِدَمِ عُثْمَانَ مِنْ قَتَلَتِهِ .

تم طبع هذا الكتاب
على مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٨

مجموعة أمهات المؤمنين

نصور للقارئ فى هذه المجموعة حياة كريمات النساء ، وأعلاهن درجة فى العفة والكمال ، وأشدهن ورعاً وتديناً ، وأقربهن إلى الله ؛ هن أمهات المؤمنين ، زوجات الرسول الكريم . ونصور الحقائق الصحيحة التى يجب أن يعرفها كل مسلم ومسلمة ، حتى يتخذوا مما كان يجرى بين النبى وزوجاته هادياً لهم وإماماً . فهو خير زوج : يعطى الزوجة حقها فى حريتها ومالها وفى صلتها الطيبة بأهلها ، وبجيرانها . وهن خير زوجات : يعرفن للزوج حقه ، ويؤدين ما له عليهن من واجبات . ومن هذه المجموعة نتعلم كيف نعالج ما قد يعرض أحياناً من المشكلات التى تكون بين المرء وزوجه على أساس من التسامح الكريم ، والمجاملة الطيبة الرقيقة .

ثمن النسخة ٥ قروش

دار المعارف بمصر